١٠ دقائق بلغنا تلًا قليل الارتفاع ينفتح من ورائهِ وادي سويك . ثم وجدنا سبيلنا قد تيسَّر فانبسطت امامنا سهول واسعة من الرمل تمتدّ الى جهة الشمال الغربيّ . فركبنا المطايا وسرنا مدَّة الى الجنوب الغربيّ فقطعنا الازمال الى ان حططنا الرحال الساعة ٥ د١٥ عند لحف جبل سرابيط فكانت المسافة التي قطعناها على ظهر الجمال تسع ساعات تبلغ من المنارة ٤٠ كيلومترًا ولو امكننا السير على خطّ مستقيم لبلغت ٢٣ كيلومترًا فقط

فضبنا الخيام في وادي سرابيط في بقعة كثيرة العشب لينة على مقربة من بعض شجيرات الأثل الشديد الخضرة . وكانت الرمال تحيط بنا من كلّ صوب ليس امامنا الّا الجبل الغربيّ مع آكامهِ المرتفعة . وكانت الشمس قد اوشكت على المغيب وتلطَّف حرّ النهار بينما كنَّا نرى القمر يعلو الى السماء صاعدًا من وراء الجبل الغربي . وكان اديم الجوّ صافيًا لا يشوبهُ غيم . فلاحت لنا اذ ذاك الطبيعة بجمالي حسنها في تلك البادية القفرة التي لا يسكنها انس ولا يصفر فيها صافر . وبعد قليل اخذت النجوم تشعُّ في السماء بهاء وهيبةً فخلناها كمصابيح موقدة في هذا هيكل الطبيعة المهيب الذي كنَّا نحن كعبادهِ في تلك الصحاري السحيقة فسبَّحنا الخالق في مخلوقاتهِ وعظَّمناهُ في مصنوعاتهِ سبحانهُ لا اله غيرهُ

(التتمَّة لعدد آخر)

اثر مجهول لابن سينا

عُني بنشرهِ حضرة الاب لويس معلوف اليسوعي (تتمة)

٤ في تدبير الرجل ولدهُ

ان من حقّ الولد على والديهِ إحسان تسميته ثم اختيار ظئرهِ كي لا تكون حمقاء ولا ورهاء . (١ ولا ذات عاهة فان اللبن يعدي كما قيل . فاذا فُطم الصبي عن الرضاع بُدئ بتأديبهِ ورياضة اخلاقهِ قبل ان تهجم عليهِ الاخلاق اللئيمة وتفاجئهُ الشيم الذميمة فان الصبي تتبادر اليهِ مساوئ الاخلاق وتتنازل عليهِ الضرائب الخبيثة فاذا تمكَّن منهُ من ذلك غلب عليهِ فلم يستطع لهُ مفارقةً ولا عنهُ نزوعًا فينبغي لمُنعم الصبيّ ان يجتنبهُ مقابح الاخلاق وينكب عنهُ معايب العادات بالترهيب والترغيب والايناس

١) اي ذات خرق وسوء رأي

والايحاش وبالاعراض والاقبال وبالحمد مرّةً وبالتوبيخ أخرى ما كان كافياً. فان احتاج الى الاستعانة باليد لم يُحجم عنهُ وليكن اوّلُ الضرب قليلًا موجعاً كما اشار به الحكماء قبلُ بعد الارهاب الشديد وبعد إعداد الشفعاء فان الضربة الاولى اذا كانت موجعةً ساء ظنُّ الصبي بما بعدها واشتدَّ منها خوفهُ واذا كانت الاولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنهُ بالباقي فلم يحفل به

فاذا اشتدّت مفاصل الصبي واستوى لسانهُ وتهيأ للتلقين ووعى سمعهُ أخذ في تعلّم القرآن وصُوّر لهُ حروف الهجاء ولُقّن معالم الدين . وينبغي ان يروي الصبي الرجز ثم القصيدة فان رواية الرجز اسهل وحفظهُ امكن لان بيوتهُ اقصر ووزنهُ أخفّ . ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الادب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف وما حُثَّ فيهِ على برّ الوالدين واصطناع المعروف وقِرى الضيف وغير ذلك من مكارم الاخلاق

وينبغي ان يكون مؤدّب الصبي عاقلًا ذا دين بصيراً برياضة الاخلاق حاذقاً بتخريج الصبيان وقوراً رزيناً بعيداً من الخفّة والسخف قليل التبذُّل والاسترسال بحضرة الصبي غير كزّ (١ ولا جامد بل حلواً لبيباً ذا مروّة ونظافة ونزاهة قد خدم سَراة (٢ الناس وعرف ما يتباهون بهِ من اخلاق الملوك ويتمايزون بهِ من أخلاق السَّفَلة وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاكلة (67 ب) والمحادثة والمعاشرة

وينبغي ان يكون مع الصبي في مكتبهِ صبيّةٌ من اولاد الجلّة (٣ حسنة آدابهم مرضيّةٌ عاداتهم فان الصبيّ عن الصبيّ ألقنُ وهو عنهُ آخذُ وبهِ آنسُ . وانفراد الصبي الواحد بالمؤدّب اجلب الاشياء لضجرهما فاذا راوح المؤدّب بين الصبيّ والصبيّ كان ذلك أنفى للسآمة وأبقى للنشاط وأحرص للصبيّ على التعلم والتخرّج فانهُ يباهي الصبيان مرةً ويغبطهم مرة ويأنف من القصور عن شأوهم (٤ مرةً . ثم يحادث الصبيانَ والمحادثة تفيد انشراحَ العقل وتحلُّ منعقدَ الفهم . لانَّ كلّ واحدٍ من اولئك انّما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منهُ والتعجب منهُ سبباً لحفظهِ وداعياً الى التحدُّث بهِ . ثم انهم يترافقون ويتعارضون الزيارة ويتكارمون

١) منقبض الوجه عابس ٢) اي وجوههم
٣) العظام والسادة
٤) الشأو الامد والغاية

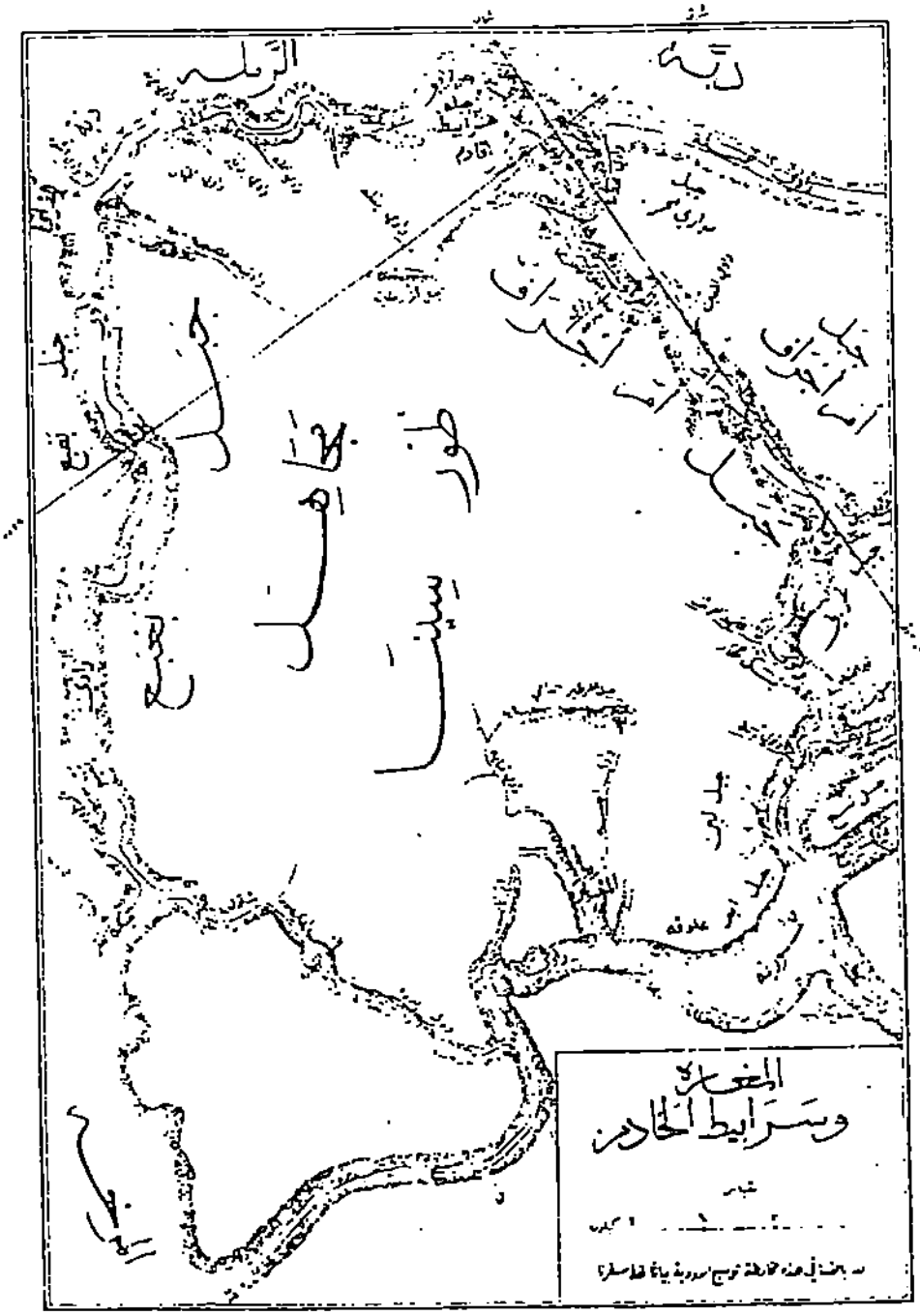
الرملة
جبل
طور سيناء
المغارة
وسرابيط الخادم

ويتعاوضون الحقوق وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة (١ والمحاكاة وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعادتهم

واذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ اصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يُراد ان تكون صناعتهُ فوجّه لطريقهِ . فان أراد (٢ بهِ الكتابة اضاف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم وما اشبه ذلك وطوّح الحساب ودخل بهِ الديوان وعُني بخطهِ . وان أريد أخرى أخذ بهِ فيها بعد ان يعلم مدبّر الصبي ان ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة لهُ مؤاتية لكن ما شاكل طبعهُ وناسبهُ وانهُ لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة اذن ما كان أحد مُغفلًا من الأدب وعاريًا من صناعة واذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات . ومن الدليل على ما قلنا سهولة بعض الآداب على قوم وصعوبتهُ على آخرين ولذلك نرى واحدًا من الناس تؤاتيهِ البلاغة وآخر يؤاتيهِ النحو وآخر يؤاتيهِ الشعر واخر يؤاتيهِ الخطاب وآخر يؤاتيهِ النسب . ولهذا يُقال بلاغة القلم وبلاغة الشعر . فاذا خرجتَ عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى وجدت واحدًا يختار علم الحساب وآخر يختار علم الهندسة وآخر يختار علم الطب وهكذا تجد سائر الطبقات اذا افتليتها طبقة طبقة حتى تدور عليها جميعها . ولهذه الاختيارات وهذه المناسبات والمشاكلات اسباب غامضة وعلل خفيّة تدقُّ عن افهام البشر وتلطف عن القياس والنظر لا يعلمها الّا الله جلَّ ذكرهُ

وربّما تأثر طباعُ انسان جميعَ الآداب والصنائع فلم يعلق منها بشيء . ومن الدليل على ذلك أن اناسًا من اهل العقل راموا تأديب اولادهم واجتهدوا في ذلك وانفقوا فيهِ الاموال فلم يدركوا من ذلك ما حاولوا . فلذلك ينبغي لمدبّر الصبي اذا رام اختيار الصناعة ان يزن اولًا طبعَ الصبي ويسبر قريحتهُ ويخبر ذكاءهُ فيختار لهُ الصناعات بحسب ذلك فاذا اختار لهُ احدى الصناعات تعرّف قدر ميلهِ اليها ورغبتهِ فيها ونظر هل جرت منهُ على عُرفان ام لا وهل أدواتهُ وآلاتهُ مساعدةٌ لهُ عليها ام

---

١) المفاخرة والمباراة

٢) اي استاذهُ ومدبّرهُ

خاذلة ثم يبتُّ العزم فان ذلك أحزم في التدبير وأبعد من أن تذهب ايام الدنيي (68ظ) فيما لا يؤاتيه ضياعًا

فاذا وغل الصبي في صناعته بعض الوغول فمن التدبير ان يُعرَض للكسب ويُحمل على التعيُّش منها فانه يحصل في ذلك لهُ منفعتان احداهما اذا ذاق حلاوة الكسب بصناعته وعرف غناها وجداها عظيمين لم يضجع (١ في إحكامها وبلوغ أقصاها والثانية أنهُ يعتاد طلب المعيشة قبل ان يستوطئ حال الكفاية فانا قلَّ ما رأينا من أبناء المياسير مَن سلم من الركون الى مال ابيه وما أعدَّ لهُ من الكفاية. فلئا عوّل على ذلك قطعهُ عن طلب المعيشة بالصناعة وعن التحلّي بلباس الأدب. فاذا كسب الصبي بصناعته فمن التدبير ان يزوَّج ويُفرَد رَحلُه (٢

٥ في تدبير الرجل خدمهُ

ان سبيل سياسة الخدم والقوّام من الانسان سبيلُ الجوارح من الجسد. وكما ان قومًا قالوا حاجبُ الرجل وجههُ وكاتبهُ قلبهُ ورسولهُ لسانه كذلك نقول ان حَفَدَة الرجل يدهُ ورجلهُ لان من كفاكَ التماطيَ بيدك فقد قام عندك مقامها ومن كفاك السعي برجلك فقد ناب عنك منابها ومن حفظ لك ما تحفظهُ عينك فقد كفاك كفايتها. فغناء الخدم عنك ايها الانسان كثير ونفع القوّام اياك جزيل ولولاهم لأُرتج دونك بابٌ من الراحة كبير ولَانسدَّ عنك طريقٌ من النعمة سَهيع (٣ ولَاضطررتَ الى مواصلة القيام والقعود والى مواترة الاقبال والادبار وفي ذلك اتعاب الجسد وهو يُعَدُّ من امارات الخفَّة ودلائل الرَّزق (٤ وسبل المهانة والضَّعة وفيهِ سقوط الهيبة وذهاب الرزانة والركانة وبطلان الأُبَّهة وطرح السمت والوقار. وبثبات هذه الخصال يباين المخدوم الخادم والرئيس المرؤوس

فينبغي لك ان تحمد الله عزَّ وجلَّ على ما سخَّر لك منهم وما كفاك وان تحوطهم

١) ضجَّع في الامر قصَّر فيهِ
٢) متاعه
٣) واسعٌ بيّن
٤) العجلة في حمق وجهل

ولا تُقصيهم وتتفقدهم ولا تهملهم وترفق بهم ولا تحرجهم فانهم بشر يمسّهم من الكلال واللغوب ومن السآمة والفتور ما يمسّ البشر وتدعوهم دواعي حاجاتهم وارادات اجسامهم الى ما في طباع البشر ارادتهُ والحاجة اليهِ

وطريق اتخاذ الخدم ان لا يتخذ الانسان خادماً الّا بعد المعرفة والاختبار لهُ والّا بعد سجرهِ وامتحانهِ فان لم تستطع ذلك فينبغي ان تعمل فيهِ التقدير والفراسة والحدس والتوسم وان تُضرب عن الصوَر المتفاوتة والخُلَق المضطربة فان الاخلاق تابعة للخُلق ومن امثال الفُرس: احسن ما في الذميم وجهه . وان تجانب ذوي العاهات كالعوران والعرجان والبرصان ونحوهم وان لا تثق منهم بذي الكَيس (١ الكثير والدهاء البيّن فانهُ لا يعرى من الخبّ (٢ ولا يسلم من المكر . ويؤثَر اليسير من العقل والحياء على كثير من الشهامة والحفّة

فاذا فرغ من ذلك فلينظر لايّ امر يصلح الخادم الذي يتّخذه واي صناعة ينتحل وما الذي يَظهر رجحانُه فيهِ من الاعمال فليسندهُ اليهِ وليستكفهُ اياهُ ولا ينقلنّ الخادم من عملٍ الى عمل ولا يحوّلنّهُ من صناعةٍ الى صناعة فان ذلك من امتن أسباب الدمار واقوى دواعي الفساد. وما يُشبَّه من يفعل ذلك الّا بمن يكلّف الخيلَ الكراب(٣ والبقر الاحضار لان تكن انسانٍ بابٍ من المعارف وفنّاً من الصناعات قد سمح لهُ بهِ طباعهُ وأفادته اياه (68ᵛ غريزته فصار لديهِ كالسجيّة التي لا حيلةَ في تركها والضريبة (٤ التي لا سبيلَ الى مفارقتها . فمتى نقل الانسانُ الخادمَ مما قد احسنهُ واتقنهُ ومارسهُ ولابسهُ وألفهُ واعتادهُ الى ما يختارهُ لهُ برأيهِ وينتخبهُ لهِ بارادته مما ينافر طباعه ويضادّ جوهرهُ أفسدَ عليهِ نظامَ خدمته وجبره في طريق مهنته فعاد كالرّيض (٥ ثم لا يُفيده مما نقلهُ اليهِ بابًا الّا بنسيان ابوابٍ مما نقلهُ عنهُ . ومتى عاد بهِ الى الامر الاول وجدهُ فيهِ أسوأ حالًا منهُ فيما نقلهُ اليهِ

---

١) الظرف والفطنة
٢) الخداع
٣) يقال كرب الارض كِرابًا اي أثارها وقلبها للزرع
٤) الضريبة الطبع
٥) من يكون في اوّل ما يراض

ولا ينبغي ان يكون تكيرُ الانسان على الخادم اذا اراد الإنكار عليهِ صَرْفَهُ عنهُ. فان ذلك من دلائل ضيق الصدر وقلة الصبر وخفّة الحلم ولانهُ اذا صرفهُ احتاج الى غيرهِ بدلًا منهُ وخلفًا عنهُ وغيرهُ مثلهُ او قريبٌ منهُ واذا استمرّت بهِ هذه العادة اوشك ان يبقى بلا خادم. بل ينبغي لهُ ان يقرّر في قلوب خدمهِ ان احدًا منهم لا يجد الى مفارقة رَحلهِ والخروج عن دارهِ وكنفهِ سبيلًا. فان ذلك اتمّ للمروءة وادلّ على الوقار والكرَم. وبعد فان الخادم لا يتوالى ولا يُناصح ولا يشفق ولا ينظر ولا يحتاط ولا يحامي ولا يذبّ حتى يتحقق عندهُ ويصحّ لديهِ انهُ شريك صاحبهِ في نعمتهِ رقيبهُ في ملكهِ وجدّتهِ حتى يأمن العزلَ ولا يحذر الصرفَ. ومتى ظنّ الخادم أن أساس حرمتهِ غير واطدة وشائج ذمامه غير راسخة وان مكانه نابٍ بهِ عند الذنب يوافقه والحزم يفارقه كان مقامهُ على صاحبهِ كعابر سبيل فلا يُعنى بنا عناه ولا يهتمّ بما عراه ولم يكن همّهُ الّا ذخيرة يُعدّها ليوم جَفرةِ صاحبهِ وظَهرَة (١ يرجع اليها عند نبوتهِ وازورار جانبهِ. وليكن عند الصاحب لخدمهِ دون صرفهم واخراجهم رسوى تبذهم واطراحهم منازلُ من الاستصلاح والتقويم فمن استقام لهُ بالتأديب عوّجه واعتدل بالثقاف أردهُ فليشدّدهُ يدًا ويوسعهُ عند الزلّة عفوًا. ومن راجع الذنب بعد التوبة ونقض العهد بعد الإنابة فليذقهُ طرفًا من العقوبة وليمسهُ ببعض السطوة ولا ييأسنّ من رشده ما لم تنحلّ عقدةُ حياتهِ ويكاشف باصرارهِ. ومن عصاهُ معصية صلعاء يلتفّ دونها او جنى جناية شنعاء لا بقيا معها ولا في شرط السياسة اغتفارها فالرايُ للصاحب البدارُ الى الخلاص والّا افسد عليهِ سائر الخدم

وانقضت الابواب التي مثّلنا فيها ما يحق على الرجل فعله في تدبير نفسه وما يشتمل عليهِ منزله وانّما ذكرنا القليل من الكثير والجمل دون التفسير ولو شرحنا كل باب بما يشاكله من اخبار الناس واشعارهم لكان الكتاب احسن واكمل الّا انهُ يكون اكبر واطول فآثرنا التخفيف على القارئ والتسهيل على الناظر ولربّ قليل اربح من كثير وصغير اتمّ من كبير والله وليّ التوفيق والتيسير. نجزت رسالة التدبير والحمد لله كثيرًا دائمًا كفاء منّته

١) المتاع والثياب والدوز